كثمن دفعه أولئك الناس جزاءً لتعاونهم مع الاحتلال أو سوء معاملتهم لإخوانهم المصريين فى أيام ازدهارهم : « قال الشيخ هذا ما وَعَدَ اللهُ ورسوله وصدق الله ورسوله ﷺ ، قال الله تعالى : ﴿ ذلك بأن الله لم يكن مغيراً نعمةً أنعمها على قوم حتى يُغَيِّروا ما بأنفسهم ﴾ ، وقال : ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أىَّ مُنْقَلَبٍ ينقلبون ﴾ »[٢٩] ، وهكذا ضاعت فى زحام المسامرات والنظرات الأخلاقية التى لا يعنيها من تجربة الرجال ومحنتهم إلا استخلاص العبر والنتائج والأحكام العامة والحياد البارد فى عرض القضية الذى يكاد أن يكون تشفياً بما حاق بهم من محن وكوارث ، مثل هذه المآسى الإنسانية التى كان من الممكن أن تتحول إلى روائع قصصية تحمل طموح الإنسان وخوفه ومحنة اغترابه ونهايته المجهولة بقيت مجرد حكايات بعيدة من مجتمع أخر . كذلك قصص المغامرات التى انتقل فيها الأبطال ما بين البر والبحر ، والمدن والصحارى والغابات ، ووقعوا فى أيدى جماعات من الزنوج إلى أن خرجوا من معتركهم . وهى قصة « يعقوب » أو حكاية طفلين وأم فقيرة ماتت فتشرد الطفلان بين الملاجئ والتقلب فى البحث عن الرزق حتى استقر الصبى بورشة أحذية وتعلم الصنعة ، أما الأخت فتعلمت الخياطة وحياكة الملابس وبدأت الحياة تبتسم لهما ، إلا أن القلق من الغد بدأ يأكل قلب الفتى ويسلمه إلى يأس أحسه صاحب الورشة وسأله